عدد **15 جوان** (2001)، 159-169

المقبرة الميجاليتية ببونوارة (الشرق الجزائري)

ملخص

يعالج هذا الموضوع جانبا حضاريا هاما يمتد عبر تاريخنا القديم، ذلك لأن المقابر الميجاليتية (الحجرية) تعد من بين الشواهد المادية و البصمات التي لا تزال شاهدة على مرور المنطقة بفترة فجر التاريخ، لا سيما فيما يتعلق منها بالبازيناس و الدولمن و الحوانيت...الخ.

و قد أخذ موقع القبور الميجاليتية ببونوارة كنموذج للمدافن الميجاليتية و ذلك من حيث توالي المعاينات الأثرية و الحفائر التي جرت به، لا سيما تلك التي قادها جـ.كامبس (G. Camps) الذي كشف في أعماله التنقيبية تلك معظم أقسام المقبرة الممتدة على كامل منحدرات جبل مزيلة (Mazela).

كما حاول نفس الباحث من جهة ثانية إبراز مظاهر ممارسة الطقوس الجنائزية من حيث وضعية جثة الميت و الهدايا الجنائزية التي توضع داخل غرفة الدفن و هي ممثلة في الفخار و بعض القطع المعدنية.

أما ضبط الإشكالية التاريخية فقد بقيت غامضة، ذلك لأن اللقى الأثرية التي عثر عليها لم تقدم أشياء كرونولوجية تجعل الباحث يرتكز عليها في إعطاء تواريخ محددة.

و عليه، فإن تاريخ المقبرة لا يتجاوز القرن الثالث ق.م غير أنه يظهر بجدارة مدى استقرار السكان في المنطقة السيرتية و ممارستهم لطقوس الدفن منذ ما يعرف في تاريخنا القديم بفجر التاريخ.

أ.د. محمد الصغير غانم
قسم التاريخ
جامعة منتوري
قسنطينة، الجزائر

Résumé

Cette étude porte sur l'aspect civilisationnel à travers notre histoire ancienne.

L'Afrique du Nord a connu la période de protohistoire. Les tombeaux mégalithiques qui s'y trouvent sont des témoins formels. Les fouilles entreprises dans le site de Bounouara, notamment celles dirigées pas G. Camps, ont permis

التسمية و المصطلح

يقصد بمصطلح ميجاليت (1) (Mégalithe) تلك المقابر الدولمينية (المنضدية) التي وجدت بكثرة في جبل مزيلة بمنطقة بونوارة، و غيرها من المناطق الأخرى المتوافرة في الشرق الجزائري و ذلك مثل سيلاّ و بومرزوق و سيجوس في المجال القسنطيني و قصطل بالقرب من تبسة و ركينة و عين العربي بولاية قالمة. و هناك مناطق أخرى من الجزائر اشتملت على مقابر الدولمن إلا أنها لا تكتسي أهمية مثل هذه التي أشرنا إليها (2).

© جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر2001.

de découvrir plusieurs types de tombeaux mégalithiques pour la période de la protohistoire; ces tombeaux découverts sont répartis sur la pente du Djebel Mazela. Par ailleurs, il existait, dans ce même site, des pratiques funéraires. Des objets ont été trouvés dans les chambres mortuaires des tombeaux: des céramiques et des métaux.

Quand à la problématique historique, elle reste inconnue parce que les objets archéologiques trouvés dans ces tombeaux ne donnent aucune chronologie qui pourrait limiter les dates. D'après les recherches faites dans ce site, les nécropoles mégalithiques ne dépassent pas probablement le 3° siècle av. JC. Mais, on pense que des gens ont habité les environs de Cirta; ils ont pratiqué l'inhumation et les pratiques funéraires depuis la protohistoire.

و هناك نوعان من قبور الدولمن:

1- القبور ذات الأعمدة الحجرية التي تغرس في الأرض و تعلوها المنضدة.

2- القبور التي تتكون من جدار حجري ضخم تعلوه بلاطة أو عدة بلاطات.

و غالبا ما يزّود هذا النوع الأخير بقاعدة مما جعل الباحثين يسمونه بقبور الدولمن القاعدية.

أما عن مظهر قبور الدولمن فهي، إما أن تكون مستطيلة أو رباعية الشكل. و في كثير من الأحيان تحاط بسياج أو عدة أسيجة مستديرة من الحجارة المتوسطة الحجم. و قد اشتهرت قبور الدولمن في بلاد المغرب القديم بصغر حجمها إذا ما قيست بمثيلتها في أوروبا.

و تجدر الإشارة إلى أن مقبرة بونوارة الدولمينية كانت قد وصفت و درست لأول مرة من قبل الجنرال فيدراب (Le Général Faid Herbe) و ذلك سنة 1868 حيث قام بتنقيب 05 قبور و نشر أعماله في مجلة عنابة تحت عنوان: " المقبرة الميجاليتية بمزيلة (Mazela) " (3).

و قبل ذلك كان الباحث الفرنسي دولامار (Delamare) قد جاب المنطقة سنة 1842، و قام برسم بعض مقابر الدولمن في ألواحه، لا سيما اللوحة 61 التي تظهر بعض قبور الدولمن التي اختيرت من موقع قصر محيجيبة.

أما اللوحة 163 من أعمال دولامار، فإنها تظهر في رسومها قبور الدولمن التي وجدت على ضفاف وادي مهيريس الذي يدخل ضمن إمتداد مقبرة بونوارة الدولمينية.

و في جرده لقبور الدولمن بمنطقة بونوارة فضل جـ.كامبس تسمية الموقع بمقبرة مزيلة مؤكدا بأن هذه التسمية تغطي كامل منطقة خنيقة الزناد (Kheniguet Ezzenad) الممتدة على وادي البرذعة الذي سيعرف فيما بعد بوادي مهيريس (4).

أما تسمية بونوارة فلم تعرف بها المنطقة إلا بعد شق خط السكك الحديدية الرابطة بين قسنطينة و عنابة في نهاية القرن التاسع عشر ميلادي و هو ما يصادف حوالي (1881).

كذلك تأكدت تسمية المنطقة ببونوارة و ذلك بعد زيارتها من قبل عدة مؤرخين و آثريين ينتمون إلى الجمعية الفرنسية من أجل ترقية العلوم (5).

و هناك من الباحثين من لا يزال يحبذ تسمية المنطقة بمقابر جبل مزيلة، يأتي على رأسهم جـ. كامبس، و م .صولينياك (M. Solignac). هذا الأخير الذي يعتقد بأن أصل التسمية مزيلة مأخوذة من جذع كلمة محلية مأخوذة من لغة السكان و هي " إيزلو" (Ezlu) أي (ضحّى) أو قدم تضحية للآلهة (6).

و لا نستبعد أن يكون الاسم الحقيقي للمقبرة هو " مزارة" استبدل فيها حرف الراء باللام، ذلك لأن القدماء كانوا يضفون هالة القداسة على أماكن الدفن و يترددون على زيارة أمواتهم. كما أن تلك المقابر تظهر من بعيد تغطي منحدر الجبل و كأنها أركمة من الحجارة، مما يعطيها صفة المزارة أي المنطقة التي تزار ثم تقدم فيها القرابين (7). و نلاحظ بأن هناك أساطير كثيرة في أدبيات السكان الذين يقطنون بالقرب من المقابر الميجاليتية نسجت معظمها حول طبيعة و هوية تلك المقابر، فهناك من يوعزها إلى العمالقة و هناك من يصفها بمقابر" الأغوال" أي المتوحشين.

موقع المقبرة:

تعد الجزائر الشرقية و شمال غرب تونس من أهم المناطق التي تكثر فيها المقابر الميجاليتية، و داخل هذه المنطقة المتميزة توجد المنطقة الجنوبية و الشرقية من مدينة سيرتا قسنطينة الحالية التي تشمل في مجموعتها كامل حوض وادي بومرزوق و رافده وادي البرذعة حيث تتوافر المقابر الميجاليتية الواسعة الموجودة في جبل الفرطاس و المناطق القريبة منه مثل مقابر رأس العين (بومرزوق)، ثم سيلاّ و سيجوس و بوشان و ذراع الغوالي، و كذا تلك المحاذية لجبل أم ستاس الذي تمتد قبوره من محيجيبة شمالا حتى بونوارة جنوبا (8) .

و لا نبالغ إذا قلنا بأن هذه المواقع المشار إليها آنفا تتضمن في مجموعها أكثر من 10 آلاف قبر دولميني و مقابر أخرى شبيهة بذلك مثل البازينانس و غيرها.

و على سبيل المثال، فإن مقبرة جبل مزيلة الأثرية ببنوارة تتسع لما يزيد عن 400 هكتار تغطي كامل سفح جبل أم ستاس الذي يبلغ ارتفاعه حوالي 1040 م و يشرف على سهل وادي البرذعة.

و في الناحية الغربية من المرتفع المشار إليه تمتد قبور الدولمن مع واجهة الجبل حتى تصل إلى القمة بحيث تصبح تشرف على سهل وادي دربال.

أما مقابر الدولمن الواقعة في الواجهة الشرقية من جبل مزيلة، فإن امتدادها مع ارتفاع الجبل يصل حتى 1000م مما يجعل الوصول إليها صعب إذا ما قيست بالواجهة الغربية للجبل الأمر الذي جعلها أقل تهديم مما هو واقع إلى الأسفل منها.

و عن تحديد مركز مقبرة بونوارة، فإنه يمكننا القول بأنه يرتكز في منحدر منطقة كهف أم العمور من خريطة خنيقة الزناد (Kheniguet-Ezzenad) (9). و في شعبة أم العمور تلك تظهر كثافة مقابر الدولمن التي تمتد حتى تصل الضفة اليسرى لوادي مهيرس (Oued Mehiris).

وتجدر الإشارة إلى أن هذا الجزء من مقبرة بونوارة يعد هاما للغاية من حيث بناء القبور الدولمينية، و كثيرا ما يتوقف عنده الباحثون ليأخذوه كنموذج لدراسة المقبرة.

كذلك يعد تعداد قبور الدولمن بجبل مزيلة معتبرا للغاية، مما أدى بالباحثين إلى الاتفاق على أن تعداد تلك القبور يصل إلى عدة آلاف. و قد اعتمد في هذا التوقع على الصور الجوية 1/5000م التي أظهرت معالم تلك المقابر.

علما و أن قبور الدولمن التي تقل مناضدها على 03 م لا تظهر معالمها على الصور الجوية، بل تظهر فقط تلك التي تزيد مناضدها على 08م على الأقل و تكون مزودة بقاعدة حتى تظهر في شكل نقطة مستديرة. كما لا تظهر على الصورة الجوية أيضا تلك الدلامن المحيطة بسور بسيط و غير مزودة بقاعدة (10).

و وفقا للمنظور السابق، فإنه يمكن أن نحتمل من دون أي شك بأن تعداد مقابر بونوارة يتراوح ما بين 3000- إلى 4000 قبرا ميجاليتيا.

التنقيبات التي توالت على مقبرة بونوارة:

توالت زيارات الباحثين الأثريين و المؤرخين على منطقة بونوارة و ذلك منذ سنة 1837 م و بذلك دخلت أدبيات التاريخ العلمي للاكتشافات الأثرية الجزائرية. و هناك من الباحثين من زار المنطقة ثم دوّن في مذكراته أشياء تشير إلى تلك المقابر الميجاليتية المتوافرة في المنطقة و ينطبق ذلك على ما قام به س. فروبينيوس (S. Frobenuis) و ماك إيفر (Mac Iver) و غيرهم من هواة الآثار (11).

و يلاحظ في هذا الصدد بأن الحفريات التي جرت في مقبرة بونوارة كانت أقل بكثير من الزيارات العلمية التي جاب أصحابها المنطقة يحملهم في ذلك حب الإطلاع. و الملفت للانتباه أن نتائج تلك الحفائر لم ينشر الكثير منها فيما عدا بعض التقارير التي لا تفي بالمطلوب. و هكذا فإنه في سنة 1865م قام الجنرال فد هارب (Faid Herbe) بتنقيب 05 قبور (12). و منذ ذلك التاريخ توقفت الحفائر حتى سنة 1909 حيث قام بول بلاري (P. Pallary) بفتح حوالي 12 قبرا دولمينيا في منطقة بونوارة.

و لم يقدم النتائج التي توصل إليها فيما عدا أنه وضع الفخاريات التي أخرجها من بعض تلك القبور في إحدى قاعات متحف باردو بالجزائر العاصمة. و يعتقد جـ. كامبس بأن " بول بالاري" خلال تنقيباته تلك كان قد عثر على رمادية تمتد حوالي 200م على طول الخندق الذي فتح من أجل مد خط السكة الحديدية التي تربط بين قسنطينة و عنابة (13).

و في سنة 1913 قام أ.ديبروج (A. Debruge) و جلود (J. Joleaud) بتنقيب 25 قبرا دولمينيا. و قد طبعت نتائج حفائرهما (14). و منذ ذلك التاريخ انقطعت أعمال الحفر و التنقيب المنظم و ذلك حتى سنة 1954عندما قام بالحفر في موقع بونوارة جـ. كامبس صحبة زوجته هنريات (Henriette). و قد توقفت أعمالهما بسبب اندلاع ثورة الاستقلال الجزائرية المباركة، ثم عادا بعد الاستقلال أي في سنة 1963 ليتحققا من نتائج أعمال الحفر التي قاما بها و كان ذلك تحت رعاية مركز الدراسات لما قبل التاريخ و الأنثروبولوجيا (C.R.A.P.E) بالجزائر العاصمة. و كانت النتيجة التي توصلت إليها حملة كامبس و زوجته تلك هي فتح إثنين و أربعين قبرا دولمينيا، لم يعثر في الكثير منها على أثاث جنائزي.

و كل الذي قام به كامبس و زوجته هو لفت الانتباه إلى الطقوس الجنائزية التي مورست في تلك القبور و إعطاء فكرة على هندستها المعمارية، ثم رسم بعض الأشكال و أخذ صور للعديد من القبور. و قد طبعت نتائج حفريتهما تلك في كتيب

تحت عنوان " المقبرة الميجاليتية" بجبل مزيلة " (La Nécropole Mégalithique du Djbel Mazela).

الأقسام التي تتكون منها المقبرة:

وفقا للدراسات و التنقيبات الأثرية المتوالية التي حاول أصحابها تفحص معظم أجزاء مقبرة منطقة بونوارة الأثرية و الاختلافات البسيطة و المعقدة من حيث توجيه غرف الدفن وفقا للجهات الأربعة، و كذا المحتويات الجنائزية لكل منها. فقد قسم جـ. كامبس مقبرة بونوارة المترامية الأطراف إلى عدة أقسام رئيسية نشير إليها على التوالي:

1- القسم الأول الواقع في أعلى الجبل و الذي كانت غرف دفنه الدولمينية قد وجهت نحو (شمال-جنوب).

و قد أحيطت معظم قبور هذه المجموعة الأولى بأسوار بسيطة و كانت خالية من القاعدة (Sans socle) التي يرتكز عليها القبر. كما يلاحظ بأن غرف الدفن في هذا النوع من القبور صغيرة الحجم إذا ما قيست بغرف الأقسام الأخرى، و أن الفخار الذي عثر عليه في هذا النوع من القبور كانت الآنية الفخارية فيه مقلوبة على فمها و قاعدتها إلى الأعلى.

2- كذلك تتجه غرف القسم الثاني نحو الشمال و الجنوب و تشذ بعض الغرف فيها، حيث تتجه نحو الاتجاهات الأخرى، يضاف إلى ذلك كبر حجم القبور الدولمينية في هذا القسم و تزويدها بقاعدة حجرية.

أما الفخاريات التي عثر عليها في مقابر هذا القسم الثاني، فكانت موضوعة في زوايا الغرف الجنائزية.

3-كان القسم الثالث من المقبرة هو الآخر قد شخص و أعطيت اتجاهات غرفه الجنائزية التي كانت في معظمها تتجه نحو الشمال و الجنوب. كما أن مظهر قبورها كانت صغيرة الحجم، و لم يعثر في غرفها الجنائزية إلا على بعض الحلي التي كانت قد صنعت من المعدن، و كانت في معظمها خالية من الفخار (15).

4- فيما يخص القسم الرابع من المقبرة، فإن معظم قبوره لا تزال لم تنقب بعد علميا، غير أنه يبدو عليها من حيث المظهر أنها شبيهة بمقابر القسم الأول. و تبدو قبورها متجهة (شمال-جنوب) و غرفها الجنائزية ضيقة.

كما أن بناءات قبورها غائرة داخل التربة ترى وقد ذهبت معالم أسوارها الدائرية. و هي خالية تقريبا من الأثاث الجنائزي، و حتى إن وجد فهو موضوع في زوايا الغرفة الجنائزية للقبر.

5-اعتبر القسم الخامس من المقبرة شبيها بالثالث من حيث تواجد بعض الأدوات المعدنية ضمن أثاثه الجنائزي الذي كان فقيرا جدا بحيث ينعدم فيه الفخار. و يختلف هذا القسم على الثالث من حيث توجيه غرف الدفن التي لم يحترم فيها التوجه نحو الشمال و الجنوب، يضاف إلى ذلك أن غرف هذا القسم كانت كبيرة الحجم إذا ما قيست

بمثيلتها في القسم الثالث. و غالبا ما كانت القبور في هذا القسم مزودة بقاعدة و محاطة بأسوار (16).

و مهما يكن، فإن الاختلافات الطفيفة المشار إليها بين الأقسام الخمسة في المقبرة لم تكن واضحة للعيان، بل كانت عبارة عن محاولة تقسيم اعتباطي الهدف منه هو تسهيل الدراسة و محاولة الوصول إلى ضبط الفترة الزمنية التي استمر فيها السكان يدفنون موتاهم في المقبرة، و حسب جـ.كامبس، فإنه لا يستبعد أن تكون قبور القسم الأول المتواجدة في قمة الجبل هي التي استعملت مبكرا و ذلك نظرا لكبر حجم مقابرها الدولمينية إذا ما قيسوا بقبور الأقسام الأخرى المتواجدة إلى الأسفل منها على منحدرات الجبل. كما تتميز قبور القسم الأعلى بأنها موزعة على كامل قمة الجبل تاركة مسافة كبيرة بين بناء كل قبر و الذي يليه.

و مع ذلك، فإن الفروق الطفيفة المشار إليها آنفا بين أقسام المقبرة، لا يمكن أن تلغي الطابع المعماري البدائي العام الذي تلتقي فيه كامل قبور المقبرة الدولمينية التي قاومت و لا تزال تقاوم كل أنواع التهديم و النهب الذي لحق الكثير من أجزائها. و هي مستمسك حضاري هام و شاهد مادي يجسد استقرار الإنسان الجزائري القديم و تمسكه بالأرض و عدم الانصهار و الذوبان في الآخرين.

إشكالية التأريخ للمقبرة:

تضم مقبرة بونوارة بضعة آلاف من مقابر الدولمن و البازيناس. و تعد الأكثر اتساعا و أهمية في كامل المقابر الميجاليتية لشمال إفريقيا. و قد كان الباحثون الأثريون يعتقدون أنه نظرا لأهميتها، فإنها ستقدم مساهمة معتبرة للتعرف على تحديد فترة فجر التاريخ في المنطقة، غير أن الحفريات التي جرت في مقابرها كانت مخيبة للآمال، حيث لم يعثر داخلها على أشياء يعتمد عليها في تحديد الفترة الزمنية التي استعملت فيها تلك المقبرة (17).

هل يمكن أن يكون ذلك عائدا إلى فقر و عدم استقرار السكان الذين دفنوا موتاهم في تلك المقابر؟ أم أن المقابر الكبيرة الهامة التي كانت تحتوي على أشياء مفيدة تاريخيا كانت قد نهبت منذ أزمنة بعيدة؟.

إن الجانب التاريخي للمقابر الدولمينية ببلاد المغرب القديم لا يزال غير محدد و هو ينتظر العثور على أشياء وثائقية مادية تلتمس داخل المقابر تساعد على إمكانية إعطاء تاريخ للفخاريات النموذجية (Les Céramiques Modèles) التي عثر عليها في بعض القبور و بالتالي إلى تأريخ المقبرة.

كما أنه يمكن القول بأن الفخار النموذجي و زخرفته لم يتطور بطريقة منهجية ثابتة و ذلك منذ ألفي سنة و لذلك لا يمكن تخيل الفترة التي دخل فيها هذا الفخار إلى شمال إفريقيا. و كل الذي يمكن أن يقال في هذا الصدد أنه متأخر عن العصر الحجري الحديث (18). و حسب التقريب، فإن هذه المساهمة الحضارية البحر متوسطية كانت قد تحققت خلال عصور البرونز و لن تكون سابقة عنه.

و بهذا التلمس التاريخي يمكن أن نحدد بداية الألف الأولى قبل الميلاد كفترة تقريبية لبداية استعمال المقبرة، لكنه لا يعني تحديد الفترة التاريخية لبناء أي قبر في المقبرة الميجاليتية. و بالمقابل، فإننا لا نعلم متى انتقلت فكرة المقابر الميجاليتية من السواحل إلى الداخل. هذا إذا كانت فكرتها فعلا مستوردة مثل البضائع المصنعة التي انتقلت من السواحل إلى الداخل على مراحل (19).

و من جهة أخرى يمكننا أن نتساءل عن استمرار بناء قبور الدولمن و الدفن فيها من قبل السكان المحليين؟ و متى استبدلت بقبور بسيطة؟

إن الإجابة عن التساؤلين السابقين تكمن في اللقى الآثرية التي عثر عليها في مقابر الدولمن ذاتها، لا سيما الفخار المحلي ثم البوني و الإغريقي و كذا الروماني الذي يكاد يمثل وثائق منفردة وجدت في تلك القبور.

و حتى الآن لا يتجاوز تاريخ توافر الفخار البوني الإغريقي في القبور النوميدية القرنين الخامس و الرابع قبل الميلاد في ماعدا بعض مواقع السواحل التي يمكن تأريخ بعض فخاريتها البونية بأقدم من ذلك الذي عثر عليه في قبور جزيرة رشقون (20).

تجدر الإشارة إلى أنه لم يعثر في بونوارة على وثائق هامة يستند عليها في إعطاء تاريخ لاستعمال مقابر المنطقة في ما عدا تلك المزهرية (Vase) التي عثر عليها أ.ديبروج (A. Debruge) و جلود (Jeauloud) و التي يمكن أن تؤرخ بحوالي نهاية القرن الثالث قبل الميلاد (21).

الخلاصة

إن عدم توفر اللقى الأثرية الخاصة بالفترة الرومانية في مقابر بونوارة يجعلنا نطرح عدة أسئلة حول العلاقات التي كانت بين السكان المحليين و الغزاة الرومان، لا سيما و أن المنطقة تقع في قلب الإقليم السيرتي- النوميدي الذي شمله التوسع الروماني منذ القرن الأول قبل الميلاد.

هل أن عدم توفر اللقى الآثرية الرومانية من فخار و عملة في مقابر بونوارة الدولمينية يجعلنا نعتقد بأن تلك المقبرة كانت قد هجرت و عدل عن الدفن فيها منذ بداية التوسع العسكري الروماني في القطاع السيرتي؟ أم أن هناك جفوة تامة و عدم إقبال من قبل السكان المحليين الريفيين على البضائع الرومانية؟.

هل يمكن أيضا أن نعتقد أن الكثير من قبور بونوارة كانت قد تعرضت للنهب من قبل أناس غير مختصين قبل أن يشملها التنقيب العلمي المنظم؟

و يوافق ما ذهبنا إليه جـ. كامبس الذي يرى بأن عدم توفر اللقى الأثرية الرومانية في قبور بونوارة يؤكد فكرة العدول عن الدفن فيها و هجرها تماما قبل الفترة الرومانية (22).

أما فيما يخص الطقوس الجنائزية في بونوارة، فإنها هي الأخرى غامضة و كل الذي يمكن التأكد منه هو أن الجثث كانت لا تدفن ممددة ذلك لأن غرف الدفن كانت ضيقة جدا بحيث لا تسمح بدفن الجثة ممددة على حالها، مما يدعونا إلى الاعتقاد بأنها كانت تدفن مطواة في شكل الجنين.

فقد أظهرت بعض القبور التي نقبت مجموعات من العظام متراكمة فوق بعضها و غير منظمة مما يوحي بأن جثث أصحابها كانت قد جردت من اللحم في أماكن أخرى ثم جمعت بعد ذلك هذه العظام و دفنت في غرف الدفن متراكمة، و لم تظهر عليها علامات حرق الجثث. كما يلاحظ من جهة أخرى بأن العظام الآدمية التي عثر عليها في قبور بونوارة لا تدل على أن الدفن كان يتم فيها جماعيا.

و بالعكس من ذلك فإن قبر البازيناس رقم 22 من حفريات كامبس كانت غرفتاه قد حوت جثتين و ثلاث جثث في كل واحد منهما في حالة جيدة (23).

و على العموم فإن نتائج تنقيبات مقبرة بونوارة الميجاليتية كانت قد أعطت دفعا جديدا لدراسة بناء هذا النوع من المقابر في شمال إفريقيا.

إن تعدد أشكال القبور و كثرتها في بونوارة يجعلها من أحسن المواقع الأثرية الجزائرية و يمكن أن تؤخذ من حيث هندسة بنائها لكامل المقابر المتواجدة في شمال إفريقيا.

كما يمكن أخذ مقبرة قسطل كمثال للفخار، و بني مسوس كمثال للأدوات البرونزية، و تؤخذ ركنية هي الأخرى كمثال من حيث توافر العظام البشرية (24).

و هنا لا بد أن نتساءل ما إذا كانت الجماعات البشرية التي دفنت موتاها في مقبرة بونوارة تمارس التنقل و البداوة أم الإستقرار؟. أو كانت تجمع بين الإثنين؟ و ما إذا كان الدفن الأولي يتم في مناطق أخرى بحيث تترك الجثة في العراء حتى تنهشها الطيور و الحيوانات المفترسة ثم تجمع العظام بعد ذلك و يؤتى بها إلى مقبرة بونوارة حتى تدفن الدفن الأبدي. و يعزز هذا الرأي فقر معظم القبور من الأثاث الجنائزي سواء أكان ذلك ممثلا في الفخار أو الحلي و الأدوات المعدنية.

كما أن عدم توفر بقايا سكنى الأحياء في المجال القريب من المنطقة يجعلنا هو الآخر نتساءل عن مواقع الاستقرار و نوعيته و ما إذا كان بعيدا أو قريبا من المقبرة؟ هل لا تزال الكهوف و الدعامة (الزريبة) أو الماباليا (Mapalia) هما المقر الأكثر شيوعا (25).

و حول أهمية المقبرة في حياة السكان من حيث الجوانب الدينية و الاجتماعية، فإن جـ. كامبس يذهب إلى المقابر الكبرى الميجاليتية في الشرق الجزائري كانت كل واحدة منها تمثل موقع اتصال مقدس و جامع لعدة قبائل مختلفة و مستقرة في المنطقة أو قريبة منها.

و مهما يكن الأمر فالذي لا شك فيه أن ملامح فجر التاريخ في مقبرة بونوارة و غيرها من مناطق بلاد المغرب القديم الأخرى لا تزال تحتاج إلى معالجة معمقة لتوضيح معالمها التاريخية، و سوف لن يتأتى لنا ذلك إلا عن طريق الاعتناء بالتنقيبات الأثرية ذات الطابع العلمي الجاد التي تأخذ بعين الاعتبار المحطات الفاصلة بين كل عنصر تاريخي و الذي يليه.

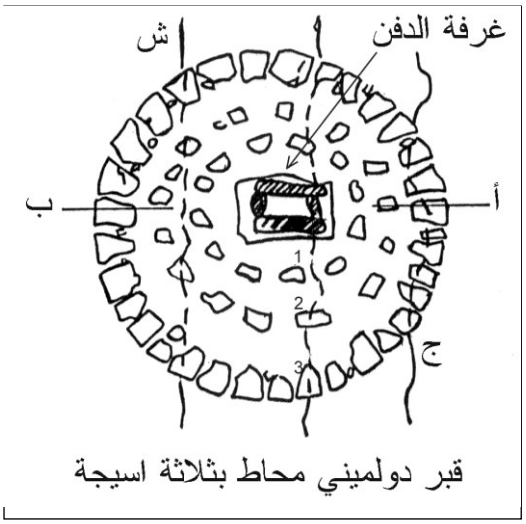

قبر دولميني محاط بثلاثة اسيجة

قبر دولميني مزود بسياج بسيط

قبر دولميني محاط بسياجين

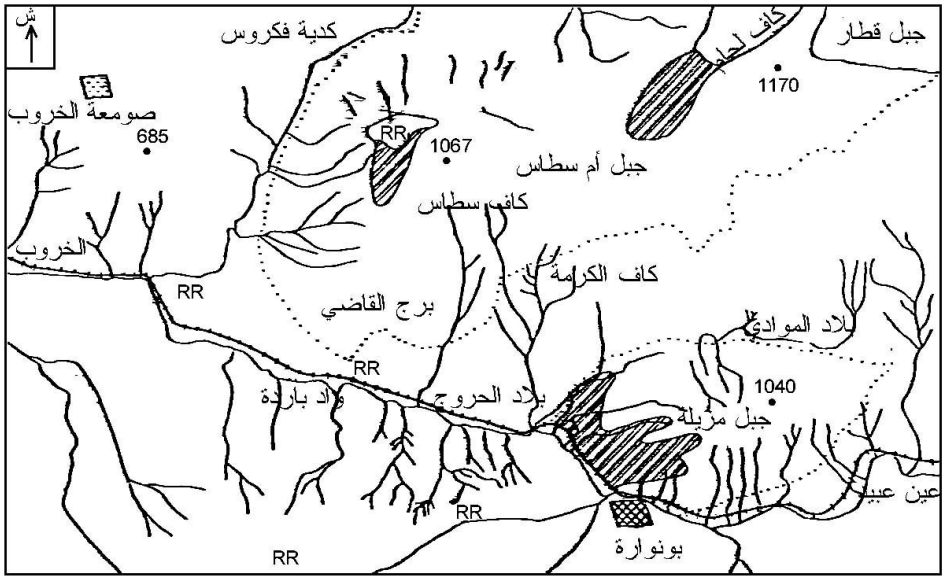

المواقع الجغرافية للمقابر الميجاليثية بمنطقة بونوارة.

التهميش

1- تعرف القبور الميجاليتية - الدولمينية في لغتنا العربية بالقبور " المنضدية". و قد يتعدى اسم ميجاليت إلى أنواع أخرى من القبور الحجرية. و القبور المنضدية في مظهرها هي عبارة عن ثلاثة أعمدة حجرية غرست في الأرض تعلوها منضدة تغطي غرفة الدفن، و غالبا ما تكون تلك القبور محاطة بأسوار تبين مجالها الجنائزي و ممر يوصل إلى غرفة الدفن التي تتوسط القبر. و نظرا لاستعمال مصطلح الدولمن بكثرة و تداوله بين الباحثين في هذا الميدان، فإننا نستعمل مصطلح الدولمن في الإشارة إلى هذا النوع من القبور و ذلك تسهيلا للبحث من جهة و شيوع هذا المصطلح بين الباحثين الأثريين المختصين من جهة أخرى.

2- G. Camps Aux Origines de la Berberie, Monuments et Rites Funéraires Protohistoriques, Paris A.M.G, 1962, pp. 125-139 et 487-490.

3- Faid Herbe, Nécropole mégalithique de Mazela, Bull. de l'Acad. d'Hippone, 1868, T.V., pp. 63-65.

4- Faid Herbe, Nécropole mégalithique de Mazela, Sur la route de Constantine à Guelma. Bull. de l'Acad. d'Hippone, T.V, 1868, p .65.

5- Lt. Jullien, Excursion à la nécropole mégalithique de Bou Nouara, XXe congrès de l'A.F.A.S., Alger, 1881, pp. 1135-1137.

6- M. Solignac, Les pierres écrites de la Berberie Orientale, Tunis, 1928, p. 65.

7- إن من بين الأسماء التي تطلق على المقابر الميجاليتية في الشرق الجزائري نشير إلى تسمية " الرجم" أو " المزارة" .

8- Faid Herbe, Les Dolmens d'Afrique, Congrès International d'Anthropologie et d'Archéologie préhistorique, 6ème session, Bruxelles, 1872, pp. 406-424.
9- G. Camps, La nécropole Mégalithique du Djbel Mazela, A.M.G, Paris 1964, p. 9.
10- A. Debruge et L. Joleaud, Contribution à l'étude de la nécropole mégalithique de Bou Nouara R.S.A.C., T.L. 1916, pp. 175-186.
11- St. Gsell, Les Monuments Antiques de l'Algérie. T.1, 1901, pp. 25-26.
12- Faid Herbe, Nécropole Mégalithique de Mazela, pp. 63-65.
13- G. Camps, Monuments et rites funéraires protohistoriques, Paris, A.M.G., 1962, pp. 125-139.
14- A. Debruge et L. Joleaud, Op-Cit., pp. 175-182.
15- L. Fereaud, Monuments dits celtiques de la province de Constantine, R.S.A.C., T.8, 1863, pp. 214-234.
16- Lieutenant Julien, Excursion de Henri Martin aux stations mégalithiques des environs de Constantine, R.S.A.C., T.XXII, 1882, pp. 214-221.
17- Ibid. réf. 5.
18- G. Camps, les civilisations préhistoriques de l'Afrique du Nord et Sahara, éd. Doin, 1974, PP. 344-345.
19- Ibid.
20- Philippe Thomas, La nécropole mégalithique de Sigus, Matériaux, 1878, pp. 27-32; Ch. Fereaud, recherches sur les Monuments dites Celtiques dans la province de Constantine, R.S.A.C., 1863, T.VII, pp. 214-234.
21- A. Joly et L. Joleaud, Ruines et Vestiges anciens relevés dans la province de Constantine, R.S.A.C., T.44, 1910, T1, pp. 29-34.
22- G. Camps, Monuments et Rites Funéraires Protohistoriques, Paris A.M.G., 1962, pp. 125-139.
23- G. Camps, Nécropole Mégalithique du Djbel Mazela à Bou Nouara, 1964, pp. 40-41.
24- A. Berbrugger, Chroniques Archéologiques à Roknia, Rev. Afric., T.VIII, 1864, pp. 390-392.
25- F. Decret et M. Fantar, l'Afrique du Nord dans l'Antiquité, Payot, Paris, 1981, pp. 204-205. □